تفضيل القراءة من المصحف الورقي

أ.د عبد الله بن عمر السحيباني
أستاذ الدراسات العليا بقسم الفقه بجامعة القصيم
١٤٤١/٩/١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله، أما بعد:

فهذه مسألة مهمة تتعلق بالقرآن الكريم، أشرف كتاب في الوجود، يحتاجها كثير من النَّاس اليوم، وهي هل الأفضل أن يقرأ القرآن من المصحف الورقي أو من الجهاز المحمل به المصحف الإلكتروني؟

ومع أهمية هذه المسألة وحاجة النَّاس إليها إلا أني لم أجد من كتب فيها، سوى فتاوى يسيرة لبعض أهل العلم، تُشير لأفضلية القراءة من المصحف الورقي، تعظيماً له واحتراماً، أو عدم المفاضلة بينهما أصلاً، لأنه لا فرق بين مصحف وآخر، فقد كتبت المصاحف بعد عهد النبوة، ومرَّت كتابتها بمراحل، وكلها وسائل، ولا دليل على تفضيل وسيلة على أخرى، فدليل هؤلاء عدم الدليل على التَّفضيل.

وقد تتبَّعت كلام أهل العلم المُتقدِّمين، حول أحكام المصاحف والتلاوة، وآدابهما، وظهر لي بعد التَّأمل والنَّظر فيما كتبوه، أنَّ المفاضلة بين المصحف الورقي والإلكتروني واردة، وأن القراءة في المصحف الورقي أفضل من القراءة من الجهاز لمن يقرأ نظراً؛ وذلك لعدة أدلة واعتبارات، أُلخصها فيما يلي:

أولاً: أن المصحف الورقي تتعلَّق به أحكام كثيرة، ليست موجودة في المصحف الإلكتروني، فالمصحف الورقي تُشترط لمسه الطهارة عند جماهير أهل

العلم، ولا يُدخَل به الخلاء، ولا يمسّه كافر، ويُكره بيعه –عند بعضهم–، ويُستحب رفعه، وإكرامه، ويحرم إذلاله وإهانته كتوسُّده أو الاتكاء عليه أو مدّ الرجل إليه –عند بعضهم–، وكل هذا غير وارد في المصحف الإلكتروني، إلا حين تكون الصفحة ظاهرة على الشاشة، فهو حينئذ يأخذ بعض أحكام المصحف، كما تأخذ ورقة المصحف بعض أحكامه، بل صورة الشاشة أقل حرمة من ورقة المصحف، فيجوز مسها لغير الطاهر، ولذا فإن بعض أهل العلم المعاصرين ينازع في تسمية المصحف الإلكتروني مصحفاً، وعلى فرض تسميته مصحفاً تجوّزاً فهو بلا شك ليس كالمصحف الورقي الظاهر الكامل المكتوب فيه كلام الله بين الدفتين، ، فهو بلا شك أعظم حُرمة، وأجلّ قدراً، وإذا كان كذلك فإن في القراءة من المصحف الورقي المُكرَّم تعظيماً له وإجلالاً، وهذا التَّعظيم في قلب القارئ قدر زائد على مجرد القراءة، فيُرجى لصاحبه مزيد فضل وأجر؛ لأنه يقرأ من شيء محترم مُعظم بالإجماع.

ثانياً: أن القول بعدم الفرق في فضل القراءة من المصحف الورقي والإلكتروني، يؤدِّي إلى تعطيل المصاحف الورقية، وإهمالها، وهجرانها، وضعف الرَّغبة من المسلمين بها، والاستغناء عنها، حيث وجدوا ما هو أسهل عليهم في القراءة، وربما جرَّ ذلك إلى ضعف طباعة المصحف ونشره؛ لعدم إقبال النَّاس عليه، فتقل المصاحف الورقية، وتكثر المصاحف الإلكترونية المُعرَّضة للزَّوال، أو التَّحريف بسهولة، وهذه مفسدة كبيرة، لا تعارضها مصلحة التَّيسير على النَّاس بالقراءة من المصحف الإلكتروني؛ لأنه من المقرر في الأصول: "أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح"، وقد نصَّ بعض أهل العلم على تفضيل القراءة من المصحف على القراءة حفظاً؛ لئلا يتعطَّل المصحف، فالمسلم إذا استشعر أن في حمله للمصحف والنَّظر فيه تكريماً له وتشريفاً، وحماية

للمصاحف من هجرانها وتعطيلها كان هذا الاستشعار والقصد قربة وطاعة، وهو فضيلة يزيد بها أجر القراءة.

ثالثاً: أنه لم يختلف العلماء بأن النَّظر في المصحف عبادة، يؤجَر عليها المسلم، فيعطي القارئ عينه حظها، وتشترك مع الأذن في التَّأثير والتَّدبر الواصل للقلب، وقد وردت آثار كثيرة صحيحة عن الصحابة ﷺ ومن بعدهم، في استحباب النَّظر للمصحف، ومنها ما جاء عن ابن مسعود ﷺ: "أديموا النَّظر في المصحف"، وقد صحَّح إسناده الحافظ في الفتح، بل وردت بذلك أحاديث لكنها ضعيفة، ومن أحسنها حديث: "مَنْ سرَّهُ أن يحبَّ اللَّهَ ورسولَهُ فلْيقرأْ في المصحفِ"، قال الهيثمي: "رجاله ثقات"، وحسَّنه الألباني، والمصحف الورقي مشمول بهذا الفضل بلا خلاف، إذ هو القرآن الذي تجري عليه الأحكام ويكون النَّظر إليه نظر احترام وإجلال، وهو المكتوب من كلام الله تعالى بين الدفتين، وفي شمول ذلك للمصحف الإلكتروني نظر، فالقارئ منه ينظر في صورة لصفحة من المصحف موجودة على الشاشة فقط، فهو ليس بمصحف حقيقة، ولهذا يرى بعضهم عدم تسميته مصحفاً، وليس بمصحف عرفاً، ولذا فلا يقال: فلان ممسك بمصحف وهو يقرأ من الجوال، وهو أيضاً: ليس بمصحف شرعاً، فلا تجري عليه الأحكام الشرعية للمصحف ولا يُعامل معاملتها، ولذا لو نظر لشيء من القرآن في كتاب تفسير أو غيره، أو نظر لشيء من القرآن في لوحة أو جدار لم يصدق عليه قول العلماء النظر للمصحف عبادة، ولهذا كله فالأقرب أن النَّاظر في الصفحة الموجودة على شاشة الجهاز من المصحف، ليس كالناظر للمصحف الورقي الذي يحتوي القرآن المكرم والمعظم.

رابعاً: أن القراءة من المصحف الورقي تستدعي كمال القارئ، فالذي يقرأ من المصحف الورقي لا بد أن يكون طاهراً؛ لأنه في الغالب يحتاج لمس المصحف، أما القارئ من المصحف الإلكتروني فيُمكن أن يقرأ على غير طهارة، **لأنه لا يمس المصحف، وإنما يمس صورة منه دونها حائل وهي الشاشة، فيجوز مسها على غير طهارة عند أكثر أهل العلم المعاصرين**، وكمال القارئ بطهارته عند تلاوة كتاب الله تعالى أفضل وأعظم أجراً، وقد نص أهل العلم على أفضلية التلاوة بأفضلية الحال التي يكون عليها القارئ، فمن يقرأ طاهراً قائماً مصلياً آناء الليل أفضل من غيره من القُرَّاء، مع أن التِّلاوة المقروءة واحدة، وكلما كانت حال القارئ في هيئته وطهارته أكمل كانت قراءته أفضل وأعظم أجراً.

خامساً: أن كتابة المصحف الورقي أوضح للقارئ من كتابة الجهاز الإلكتروني؛ لأن المصحف الإلكتروني في الغالب تكون كتابته صغيرة، فهو بحجم الكف غالباً، ووضوح الكتابة مهم للغاية في تقليل أخطاء القراءة، خاصة مع ضعف مستوى قراءة القرآن عند أبناء المسلمين اليوم، ولهذا جاء عن جماعة من الصحابة كعمر وعلي –رضي الله عنهما– كراهة أن تتخذ المصاحف صِغاراً، أو أن تُكتب في الشيء الصغير؛ لأنه ينافي التَّعظيم، وذكر كثير من السَّلف المنع من كتابة المصحف بخط دقيق، ثم إن في القراءة بالجهاز الإلكتروني الصغير ضرراً مُحتملاً على العين، خاصة لمن كان يطيل القراءة، والشَّريعة جاءت بنفي الضرر وتقليله، وبناء على ما سبق فـ: القراءة من المصحف الورقي أسلم من الخطأ في القراءة في الغالب، وأقل في الضرر المحتمل على النَّظر.

سادساً: أن المندوب للقارئ الابتعاد عمّا يُشغله أو يُلهيه، حتى تسلم له قراءته، ويتم له التَّدبر والخشوع، والقراءة في المصحف الورقي أدعى للتَّدبر والخشوع، وهي أثبت في الذهن والقلب؛ لأن القارئ منصرف بكليته

للمصحف، ليس معه غيره، فبين يديه كتاب الله فقط، أما القارئ من الجهاز الإلكتروني فهو معرض للانشغال عن القراءة، وتدبرها، لأنه ممسك بجهاز يحوي صفحة المصحف وغيره، وإذا كان الجهاز يعمل حال القراءة على استقبال وسائل الاتصال والتَّواصل -وهو الغالب- حصل للقارئ من التَّشويش والانشغال ما لا يخفى، بل هو معرض للانقطاع عن القراءة في حال انطفاء ضوء الجهاز أو ضعف شحنه، كما أن القارئ من المصحف الورقي لا يُشغله أحد، ولا يقاطعه بسلام ولا كلام، بينما قد يُقاطع القارئ بالجهاز، لعدم العلم به، وقد قيل في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ [مَرْيَم الآية ١٢] ، أي: بجد واجتهاد، وأخذه بالجد أن يكون مُتجرِّداً له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره.

هذه بعض الاعتبارات والمرجحات التي بمجموعها تدل على تفضيل قراءة القرآن من المصحف الورقي على القراءة من المصحف الإلكتروني، ومع كل هذا فإن وجود المصحف الإلكتروني نعمة من الله على أهل الزمان، والقراءة منه بلا شك مشروعة، وفيها أجر التَّلاوة، بل ربما تكون القراءة من المصحف الإلكتروني هي المتاحة؛ لعدم الطهارة، كقراءة الحائض -لمن أجازها-، أو لعدم الاستقرار، كحال السَّفر أو الانتظار، أو لعدم وجود المصحف الورقي، أو تعذر حمله لأي سبب، وربما كان القارئ لا يجيد القراءة فيحتاج لسماع قارئ في الجهاز، وربما احتاج لمراجعة التفسير أو الترجمة الموجودة في المصحف الإلكتروني، فهذه أحوال خاصة لبعض القُراء، ربما تكون هي الأفضل في حقهم، مع أنه ينصح في تلك الحال بإغلاق وسائل الاتصال والتَّواصل الموجودة فيه، ليكون أدعى للخشوع والتَّدبر، وعدم الانشغال.

ويبقى الحكم العام الثَّابت في حال الاستقرار والاختيار: تفضيل واستحباب قراءة القرآن من المصحف الورقي، كحال الجالس في المسجد، أو في البيت مع وجود المصحف الورقي، فحمل المصحف الورقي والقراءة منه أفضل وأكمل وأجمل، وهي –بإذن الله– أعظم أجراً لمن احتسب الأجر، ولعلي أختم بكلام جميل للإمام أبي حامد الغزالي عندما تحدث عن آداب التلاوة، فقال: "وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار، وتتضاعف أجورهم، فإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور، ولهذا نقول قراءة القرآن في المصاحف أفضل؛ إذ يزيد في العمل النظر، وتأمل المصحف، وحمله، فيزيد الأجر بسببه، وقد قيل الختمة في المصحف بسبع؛ لأن النظر في المصحف أيضاً عبادة، وخرق عثمان ﷺ مصحفين لكثرة قراءته منهما، فكان كثير من الصحابة يقرؤون في المصاحف، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف".

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

وكتبه راجيًا من ربه القبول

أ.د عبد الله بن عمر السحيباني

أستاذ الدراسات العليا بقسم الفقه بجامعة القصيم

١٤٤١/٩/١٥هـ